﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبة بين قدرة الله على الكافرين، وضرورة الإعداد للنّصر المبين

بعد أن أوجبَ عليهم أن يُشرِّدوا مَن بادرَ إلى نقض العهد، وأن ينبذوا عهودَ مَن يُخافُ منه الخيانةُ، ونقضُ الميثاقِ، أمرَهم في هذه الآية بالإعداد للكفّار[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَعِدُّواْ﴾: يقول صاحبُ معجم المقاييس في اللّغة حول أصل مادّة (عدّ): "العينُ والدّالُ أصلٌ صحيحٌ واحدٌ لا يخلو منَ العدِّ الّذي هو الإحصاءُ، ومنَ الإعداد الّذي هو تهيئةُ الشّيء، وإلى هذيْن المعنَيَيْن ترجعُ فروعُ البابِ كلُّها[2]"، الإعداد: هو التّهيئةُ والإرصاد[3].

2) ﴿قُوَّةٖ﴾: القافُ والواو والياءُ أصلان متباينان، يدلُّ أحدُهما على شدّةٍ وخلافِ ضَعْفٍ، والآخرُ على خلاف هذا وعلى قلّةِ خيرٍ، فالأوّلُ القوّةُ، والقويُّ: خلافُ الضّعيفِ، والأصلُ الآخرُ: القَواءُ: الأرضُ الّتي لا أهلَ بها[4]، والقوَّة: تُستعمَلُ تارةً في معنى القدرة، نحو قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: 171]، وتارةً للتّهيّؤ الموجود في الشّيء، ويُستعمَلُ ذلك في البدن تارةً، وفي القلب

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/151.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عد).
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 148.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).

أخرى[1]، وقال صاحب الكلّيّات: القوّةُ: هيَ كَون الشَّيء مُستعدًّا لأن يوجد ولم يوجد[2].

3) ﴿رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾: رَبطُ الفرس: شدّه بالمكان للحفظ، ومنه: رِباطُ الخيل، وسمّي المكانُ الّذي يخصُّ بإقامة حِفْظِه فيه: رباطًا، والرِّباط مصدر رَبَطْتُ ورابَطْتُ، والمُرابَطَة كالمحافظة، قال الله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الانفال: 60]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: 200]، فالمرابطة ضربان: مرابطة في ثغور المسلمين، وهي كمرابطة النّفس البدن، فإنّها كمَن أُقيم في ثغرٍ، وفوّض إليه مراعاتُه، فيحتاج أن يراعيه غيرَ مخلٍّ به، وذلك كالمجاهدة، والضّربُ الثّاني: يُقال: فلان رابِطُ الجأش: إذا قوي قلبُه[3].

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

قـوّة الإعـداد تُـرهـبُ الأعـداء المـتربّـصـين، وتُمكّنُ المؤمنين منَ النّصر المكين

يخاطبُ اللهُ عبادَه المؤمنين بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لأعدائكم الكفّار السّاعين في هلاككم وإبطال دينكم، ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾؛ أي: كلُّ ما تقدرون عليه منَ القوّة العقليّة والبدنيّة وأنواع الأسلحة ونحو ذلك ممّا يعينُ على قتالهم، فدخلَ في ذلك أنواع الصّناعات الّتي تعملُ فيها أصنافُ الأسلحةِ والآلاتِ والشّجاعةِ والتّدبيرِ والمراكبِ المحتاج إليها عند القتالِ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، وهذه العلّةُ موجودةٌ فيها في ذلك الزّمان، وهي إرهابُ الأعداء، والحكمُ يدورُ مع علّته، وقوله: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾؛ أي: ممّن تعلمون أنّهم أعداؤكم، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ ممّن سيقاتلونكم بعدَ هذا الوقت الّذي

(1) الرّاغب، المفردات: (قوى).
(2) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 717.
(3) الرّاغب، المفردات: (ربط).

يخاطبُهم الله به، ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ فلذلك أمرَهم بالاستعداد لهم، ومِن أعظم ما يعينُ على قتالهم بذلك النّفقات الماليّة في جهاد الكفّار، ولهذا قال تعالى مُرَغِّبًا في ذلك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قَليلًا كان أو كَثيرًا ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾، فأجرُه يوم القيامة مُضاعفٌ أضْعافًا كثيرةً، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾؛ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالعطف:

الآيةُ الكريمةُ معطوفةٌ؛ إمّا على قوله: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾، فبعد أن أوجبَ عليهم أن يُشرِّدوا مَن صدر منه نقضُ العهد، وأن ينبذوا عهودَ مَن يُخاف منه النّقض، أمرهم في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفّار[2].

جمعَ وجوبَ التّشريد والنّبذ، مع الأمر بالإعداد

بلاغةُ الاحتراسِ في العطف:

تحتملُ الآيةُ العطفَ على قوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾؛ ليفيدَ العطفُ غرضًا بلاغيًّا يسمّى الاحتراس[3]، فقوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾ يوهمُ التّوهينَ من شأن المشركين، والتّقليلَ من شأنهم؛ فعقّبه بالأمر بالاستعداد لهم، لئلّا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مكنتهم، فيلزم من هذا الاحتراس أن يستعدّوا لهم، فيكون هذا الاستعداد هو السّببُ في كونهم لا يُعجزون[4].

الاستعدادُ للعدوّ، علّةُ كونه لا يُعجز

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 324 - 325.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/151.
(3) وهو نوعٌ منَ الإطناب، ويسمّى الاحتراس أو التّكميل: وهو أن يُؤتى بكلامٍ يوهمُ خلافَ المقصود بما يدفعه. يُنظر: القزوينيّ، تلخيص المفتاح، ص: 127.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/54 - 55.

دلالةُ الأمرِ (أعدّوا)، ووجهُ جمعِه:

يـدُ اللـه مع الـجـمـاعـة، والـجـمـاعـة رحمة، والفرقة عذاب

الأمرُ بالإعداد اتّخاذُ الشّيء لوقت الحاجةِ إليه[1]، وهو عامٌّ موجّهٌ لكلّ المؤمنين؛ فـ" المخاطبة في هذه الآية لجميع المؤمنين"[2]، فاجتماعُهم، ومشاركتُهم في الإعداد موئلُ نصرِهم، وآلةُ تمكينِهم، وسرُّ ثباتِهم.

عودُ الضّمير في ﴿لَهُم﴾، من الآية الكريمة:

الأمـرُ مُـتـوجّـهٌ لمحاربة جميع الكفّار

الضّميرُ في قوله: ﴿لَهُم﴾ عائدٌ على الّذين يُنْبَذ إليهم العَهْدُ، أو على الّذين لا يُعجزون على تأويل مَن تأوّلَ ذلك في الدّنيا، ويحتملُ أن يعيدَه على جميع الكفّار المأمور بحربهم في ذلك الوقت، ثمّ استمرّتِ الآيةُ في الأمّةِ عامّةً، إذِ الأمرُ قد توجّهَ بحرب جميعِ الكفّار[3].

سرُّ التّعبيرِ بالموصول (ما) في السّياق:

أفـادَت (مـا) الـتّـعـمـيـمَ، لتوخّي كلّ أنماط الإعداد اللّازمة

إيثار الموصول الاسميّ (ما) الدّالّ على الإبهام والتّنكير؛ لإفادة التّعميم لتشملَ كلَّ أنواعِ الإعداد، ومختلفَ وجوه الاستطاعة قلّت أو كثرت.

التّعبيرُ عنِ الاستطاعة بصيغة الاستفعال:

الـحـثُّ عـلى تحصّل مكامنِ الإعـداد، في مواجهة الأعداء

تدلُّ صيغةُ الاستفعال على طلبِ الفعلِ، والأمرُ هنا بالاستطاعة وفاقَ هذه الصّيغة طلبٌ للسّعي وبذلِ الجهدِ والنّفسِ لتحصّل تمامِ الإعداد، والإمكانِ منه، والقدرةِ على تنفيذه بما توحي به الصّيغةُ من دلالةٍ على قوّةِ المعنى، بالزّيادةِ على أصل الفعلِ، وبذا تكونُ أخصَّ منَ القدرة.

بلاغةُ تنكير لفظ ﴿قُوَّةٍ﴾ في الآية:

إفـادة الـقـوّة الـتّـعـمـيـمَ، لـيـشـمـلَ كـلَّ الـقـوى المـادّيّـة والمعنويّة

الخطابُ في الآية هو لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم؛ لأنّ ما يُراد منَ الجماعة إنّما يقوم بتنفيذه ولاةُ الأمور الّذين هم وكلاءُ الأمّةِ على مصالحها[4]، والأمرُ في ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ يفيدُ الوجوبَ الفرضيَّ

(1) الخازن، لباب التّأويل: 3/45.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/545.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/545.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/55.

على القادرين، وتقديمُ شبه الجملة ﴿لَهُم﴾ على المفعول به، إنّما هو لكمال التّحذيرِ للمؤمنين من أعدائهم، ولكي لا يتواكلوا ولا يتوانوا في الإعداد والتّهيئة لأعدائهم الّذين يتربّصون بهم، والضّمير في قوله: ﴿لَهُم﴾ عائدٌ على الّذين يُنْبَذ إليهم العَهْدُ، أو على الّذين لا يُعجزون، ويحتمل أن يعودَ على جميع الكفّار المأمورِ بحربهم في ذلك الوقت، ثمّ استمرّتِ الآيةُ في الأمّةِ عامّةً[1]، والظّاهرُ العمومُ[2]، والقوّةُ هنا أُطلِقَت مجازًا على شدّة تأثير شيءٍ ذي أثر، ويمكن أن تكونَ أُطلقت على سبب شدّةِ التّأثيرِ، فقوّةُ الجيش شدّةُ وقعِه على العدوّ، وقوّتُه أيضًا سلاحُه وعتادُه، وهو المراد هنا، فهو مجازٌ مُرسَلٌ بواسطتين أو بسببين، فاتّخاذُ السّيوفِ والرّماحِ والأقواسِ والنّبالِ منَ القوّة في جيوش العصورِ الماضيةِ، واتّخاذُ الدّبّاباتِ والمدافعِ والطّيّاراتِ والصّواريخِ منَ القوّة في جيوش عصرِنا[3]، وذكروا فيما يمكن أن يكونَ سببًا في القوّة وجوهًا: **الأوّل**: المرادُ منَ القوّة أنواعُ الأسلحة، **الثّاني**: ما ورد عنِ النّبيّ ﷺ: «ألا إنّ القوّةَ الرّميُ» قالَها ثلاثًا[4]، **الثّالث**: قال بعضُهم: القوّةُ هي الحصونُ، الرّابع: هذا عامٌّ في كلِّ ما يتقوّى به على حرب العدوّ، وهو القول الأولى[5]، ويؤيّدُ هذا الرّأيَ الأخيرَ تنكيرُ كلمةِ ﴿قُوَّةٍ﴾، والّذي يفيدُ التّعميمَ ليشملَ كلَّ القوى المادّيّة والمعنويّة، فيدخل فيها الرّميُ دخولًا أوّليًّا؛ لأنّه من أهمِّ القوى الّتي تحسمُ المعركة.

توجيهُ العطفِ، في ذكر رباط الخيل:

عطفُ ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ على ﴿قُوَّةٍ﴾ من عطف الخاصّ على العامّ للاهتمام بذلك الخاصّ[6] نحو قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا

عـطـفُ (ربـاط الـخـيـل)، من عـطـف الـخـاصّ على العامّ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ص: 811 - 812.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/343.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/55.
(4) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب: فضل الرّمي والحثّ عليه، برقم: (1917).
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/151 - 152.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/55.

لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: 98]، وجبريل وميكال من جنس الملائكةِ، وعطفها عليها يقتضي تفضيلَها على بقية أفرادِ جنسِها.

علّةُ إيثارِ صيغة (الرّباط)، في ثنايا السّياق:

الـرّبـاطُ اسـمٌ للخيول الّتي تُربَطُ في سبيل الله

الرّباطُ اسمٌ للخيل الّتي تُربَطُ في سبيل الله، فِعال بمعنى مفعول، أو مصدرٌ سمّيت به[1]، حيث يسمّون المكانَ الّذي تُربطُ فيه الخيولُ رباطًا، ويمكن أن تكونَ رباطُ صيغةَ مبالغةٍ للمبالغة بربط الخيلِ واحتباسِها انتظارًا للغزو[2].

بلاغةُ الكنايةِ في جملة ﴿رِبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾:

الـخـيـلُ مظنّةُ الـــبـــأس، والإعداد للحرب

﴿رِبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ كنايةٌ عربيّةٌ بليغةٌ معروفةٌ عند العربِ دالّةٌ على البأس والإعداد الحربيّ[3]، قال الشّعراويّ: "ورباط الخيل هو القوّةُ الّتي تحتلُّ الأرضَ، فمهما بلغَت قدرتُك في الرّمي فأنت لا تستطيع أن تستولي على أرض عدوِّك، ولكنَّ راكبي الخيل كانوا يدخلون المعركةَ في الماضي بعدَ الرّمي ليحتلوا الأرضَ، وهذه عَمَليَّةٌ تقومُ بها المدرّعات الآن؛ فالمعركةُ تبدأُ أوّلًا: رَمْيًا بالصّواريخ والطّائرات حتّى إذا حطّمتَ قوّةَ عدوِّك انطلقَتِ المدرّعاتُ لتحتلَّ الأرضَ، فالطّائراتُ والصّواريخُ تهلكُ العدوَّ وتحطّمُه، ولكنّها لا تأخذُ الأرضَ، ولكنّ الّذي يمكّننا منَ الأرض والاستيلاء عليها هو رباطُ الخيل، أو المدرّعاتُ، ورباطُ الخيل هو عقده للحرب؛ أي: أنّ الخيلَ تُعدُّ، وتُعلَفُ، وتدرَّبُ، وتكونُ مستعدّةً للحرب في أيّة لحظةٍ، تَمامًا كما تأتي للمدرّعات، وتعدُّها إعدادًا جيّدًا بالذّخيرة، وتصلحُ ماكيناتِها، وتتدرّبُ عليها؛ لتكونَ مُسْتَعدًا للقتال في أيّ لحظة"[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/109.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/55.
(3) مراد، المقدّمة في فقه العصر: 2/737.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 8/4777.

وجهُ إضافةِ الرّباط إلى الخيل:

الإضافةُ للبيان، أو عـلى (مـن) التّبعيضيّة

يكثرُ استعمالُ التّركيبِ ﴿رِبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ في الخيل الّتي تُربَطُ في سبيل الله. فالإضافة؛ إمّا باعتبار عموم المفهوم الأصليِّ، أو بملاحظة كون الرّباط مشتركًا بين معانٍ أُخَر، كانتظارِ الصّلاةِ، وملازمةِ ثغرِ العدوِّ، والمواظبةِ على الأمر، فإضافته لأحد معانيه للبيان، كـ (عين الشّمس)، ومنه يعلم أنّه يجوزُ إضافةُ الشّيء لنفسه إذا كان مُشتركًا، وإذا كان من إضافة المُطلَق للمقيّد، فهو على معنى (من) التّبعيضيّة[1].

سرُّ تخصيص الخيل بالذّكر، في سياق القرآن الكريم:

خُـصّـتِ الخيلُ بالذّكر تشريفًا لها عـلى لسان كثير من الأنبياء

لمّا كانتِ الخيلُ هي أصلُ الحروبِ وأوزارها، والّتي عُقِدَ الخيرُ في نواصيها، وهي أقوى القوّة، وحصونُ الفرسان، وسروجُ صولاتِهم، وآلاتُ غاراتِهم، خصّها اللّهُ بالذّكر ههنا تشريفًا لها، على نحو قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98][2].

بلاغةُ تركِ العطفِ في السّياق:

تـــركُ الـعـطـفُ لـشـبـه كـمـال الاتّـــصـــال، أو لكمال الانقطاع أو لكونها جملةً حاليّةً

قوله تعالى ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، هذه الجملةُ لم تُعطَفْ على سابقتها لاحتمالات: إمّا لكونها استئنافًا بيانيًّا جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لمَ نعدّ لهم هذا كلّه؟ ترهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم، وهو الأولَى هنا؛ لأنّ في تقدير السّؤالِ المحذوفِ بَلاغَةً عَجيبَةً من شجاعة العربيّة، وإمّا أنّ تركَ العطفِ لكمال الانقطاع بسبب عدمِ جوازِ عطفِ الجملةِ الخبريّةِ على الإنشائيّةِ، فجملة ﴿تُرۡهِبُونَ﴾ خبريّة، وجملة ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ إنشائيّة، ولا يجوزُ عطفُ إحداهما على الأخرى إلّا إن كانت إحداهما بمعنى الأخرى، وإمّا تُركَ العطفُ لكونها جملةً حاليّةً من ضمير ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ على معنى: مرهبين به، أو منَ الاسم الموصول (ما)، أو من عائده المحذوف (ما استطعتموه)[3].

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/315.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/546.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/109، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/56.

توجيهُ القراءاتِ في قوله: ﴿تُرْهِبُونَ﴾:

غـايـةُ الإعـدادِ إيقاعُ الرّهبة في قلوب الكافرين، كـلٌّ بحسب ما يلزمه

قرأ الجمهورُ ﴿تُرْهِبُونَ﴾ بسكون الرّاء وتخفيف الهاء، منَ الفعل (أرهب)، وقرأ رويس بفتح الرّاء وتشديد الهاء[1]، منَ الفعل (رَهَّب)، وكِلاَ الفعلين مُتعدٍّ، لكنّ قراءةَ التّضعيف أفادَت المبالغةَ في إيقاع الرّهبةِ في قلوبهم، وبجمع معاني القراءتين يُفهَمُ أنّ الغايةَ من هذا الإعداد هو إيقاعُ الرّهبةِ في قلوب الكافرين، كلٌّ بحسب ما يلزمه من هذا التّخويف والإرهاب، وفوائدُ هذا الخوف ما جاء في تفسير الرّازيّ: "أوّلُها: أنّهُم لا يَقصِدونَ دُخولَ دارِ الإسلام. وثانيها: أنّه إذا اشتَدَّ خَوفُهُم فرُبَّما التَزَموا مِن عِند أنفسِهم جِزيَةً. وثالِثُها: أنّه رُبَّما صارَ ذلك داعيًا لهم إلى الإيمان. ورابِعُها: أنّهُم لا يُعينونَ سائِرَ الكُفّارِ. وخامِسُها: أن يَصيرَ ذلك سَبَبًا لِمَزيدِ الزّينَةِ في دارِ الإسلام"[2].

الغَرَضُ منَ العطف بين الصّفات:

عطفُ الصّفاتِ لإنـزال التّغاير العنوانيّ، منزلةَ التّغاير الذّاتيّ

المراد بـ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هم المشركون، وعرّفهم بصفتين متقاربتين بأنّهم أعداءُ الله وأعداؤهم ليتقوّى ذمّهم، فهذا من عطف الصّفات لموصوفٍ واحدٍ لإنزال التّغايرِ العنوانيِّ منزلةَ التّغايرِ الذّاتيِّ، وقد تقدّمَ الحديثُ عن نظائره، فكونهم أعداءً لله يقتضي أنّهم أعداءٌ للمؤمنين، وعطفُ ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ أفاد توكيدًا لعداوتهم لله، وأشعر أنّ كلَّ صفةٍ منَ الصّفتين تصلحُ أن تكونَ كافيةً لإرهابهم، فكيف وقد اجتمعتِ الصّفتان بما يُشعِرُ بنبوّ إحداهما عنِ الأخرى.

دلالة العطفِ في مطلع الآية الكريمة:

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾، الجملةُ معطوفةٌ على ما سبقها، والمراد أنّ تكثيرَ أدواتِ الجهاد وآلاتِه كما يُرهبُ أعداءَ الله الّذين

(1) آل نصر، طلائع البشر، ص: 184.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/152 - 153.

نعلمُ أنّهم أعداءٌ، يُرهِبُ كذلك الأعداءَ الّذين لا نعلمُ أنّهم أعداءٌ كالمنافقين، وذلك أنّهم إذا شاهدوا قوّةَ المسلمين وكثرةَ آلاتِهم وأدواتِهم انقطعَ عنهم طمعُهم من أن يصيروا غالبين لهم، وذلك يحملُهم على ترك الكفر في بواطنهم، ويَصيرونَ مخلصين، وأيضًا فإنّ المنافقَ من شأنه أن يتربّصَ ظهورَ الآفاتِ، ويحتالَ في إلقاء الإفسادِ والتّفريقِ فيما بين المسلمين، فإذا شاهدَ قوّةَ المسلمين خافَهم، وتركَ هذه الأفعالَ المذمومةَ، وقال بعضُهم: المرادُ بذلك كفّارُ الجنِّ أو المسلمون؛ لأنّ المسلمَ قد يُعادي أخاه المسلم[1].

من وجوه الإعداد، تكثيرُ آلات وأدواتِ الجهادِ

فائدةُ التّعبيرِ بشبه الجملة ﴿مِن دُونِهِمْ﴾:

يرى ابنُ عاشور أنّ هذا القيدَ في قوله: ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ ما يُشعِرُ بأنّهم من قبائل العرب الّذين كانوا ينتظرون ما تنكشفُ عنه عاقبةُ المشركين من أهل مكّة من حربهم مع المسلمين، فقد كان ذلك دأبَ كثيرٍ منَ القبائلِ، ولذلك ذكرَ ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ بمعنى من جهات أخرى؛ لأنّ أصلَ (دون) أنّها للمكان المخالفِ، وهذا أولى من حمله على مُطلَقِ المغايرة الّتي هي من إطلاقات كلمة (دون)؛ لأنّ ذلك المعنى قد أغنى عنه وصفهم بـ(آخرين)[2]، وعلى جلالة قدر رأيه إلّا أنّ الحملَ على العموم هو الأليقُ بألفاظِ كتابِ الله تعالى ليعمَّ كافّةَ صنوفِ أعداءِ الله، وأعدائِهم الظّاهرين والمبطنين والله أعلم.

استيعاب صنوف أعداء الله كافّةً، الظّاهرين والمبطنين

دلالةُ نفي العلم بالفعل المضارع المنفيّ:

معنى قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لا تعلمون أعيانَهم وأشخاصَهم؛ إذ هم مُستترون عن أن تعلَموهم بالإسلام، فالعلمُ هنا بمعنى المعرفة، ولذلك فقد تعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبعضهم تكلّفَ في تقدير مفعولٍ ثانٍ لـ(علم)، مثل: محاربين أو فارغين أو راهبين[3]، وإطلاقُ العلمِ على

نَفْيُ عِلْمِ الأعيان والأشخاص، استيعابٌ لكلّ المَنْفيّاتِ في السّياق

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/57.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/345.

المعرفة شائعٌ في لغة العربِ، وفي إسناد المعرفةِ إلى الله تباينَت آراءُ العلماء، والأكثرون على منعه[1]؛ لأنّ المعرفةَ تكونُ بعدَ جهلٍ، وتحتاجُ إلى أسبابٍ في تحصيلها، وكلا الأمرين تتنزّه عنه الذّات العليّة.

بلاغةُ تقديمِ المسند إليه، على المسند الفعليّ:

في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ تقديمٌ للمسند إليه على الخبر الفعليّ، وهذا التّركيبُ كما تقدّم مرارًا يفيدُ تقويةَ الحكم وتأكيدَه، وقد يفيدُ التّخصيصَ بالقرائن، وذلك عند مَن يرى أنّ اللّه وحده هو الّذي يعلمُ حالَهم، بدليل أنّه نفى عنهم علمهم بهم، ويرى ابنُ عاشور أنّ الحملَ على التّخصيص والقصر هنا غيرُ مرادٍ؛ لأنّه تقدّمها قوله: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمۡ﴾، ولو قيل: (لا تعلمونهم ويعلمهم اللّه) لحصلَ معنى القصر من مجموع الجملتين[2]، وفي حملها على تقوية الحكم ما يرفعُ من معنويّةِ المؤمنين، وما يزعزعُ معنويّات أعدائهم، ويمكن كذلك أن يكونَ قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ استئنافًا بيانيًّا جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: فمَن يعلمهم؟

أفادَ التّقديمُ رفع معنويّات المؤمنين، وزعزعة معنويّات أعدائهم

نكتةُ التّعبير بالجملة الاسميّة:

جاءَت الجُمْلةُ بهيئة الاسميّةِ الّتي تفيدُ التّوكيدَ والثّباتَ تعريضًا وتهديدًا لهؤلاء الآخرين، وإشعارًا بالامتنان على المسلمين بأنّهم بمحلّ عنايةِ اللّهِ، فهو يحصي أعداءَهم، وينبهُهم إليهم[3].

أفادَت هيئةُ الاسميّة تهديدَ الآخرين، وامتنانًا للمسلمين

نكتةُ التّعبير عنِ العلم وعن نفيه مضارعًا:

علمُ اللّه تعالى بهم دائمٌ مُتجدِّدٌ مُستمرٌّ لا يسعُه حدٌّ، ولا يُحيط به كمٌّ، وعلمُ البشر بخلافه قاصرٌ، محدودٌ قد يعلمُ شيئًا ويجهلُ أشياءَ.

علمُ اللّه لا يسعه شيءٌ، وقد أحاط بكلّ شيء علما

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/38 - 39.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/57.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/57.

دلالةُ الواو:

الـــــواو بـين الاستـئـنـافـيّـة والـعـاطـفـة على الآية الفارطة

قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾، هذه الواو يمكن أن تكون استئنافيّةً شرعت بعدها بكلام جديدٍ لا يتّصلُ مباشرةً بما سبقها؛ حيث لا يجوزُ أن تكونَ معطوفةً على قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾؛ لاختلاف نظم الجملتين من حيث الإنشائيّة والخبريّة من ناحية، ولغياب الجامعِ المباشرِ بينهما من ناحية أخرى، ولكن يحتمل كونها عاطفة على قوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ أو قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾ فتكون عاطفةً على ما تقدّمها من أحكامٍ جليلةٍ في هذه السّورةِ الكريمةِ.

بلاغةُ الجملةِ الشّرطيّةِ:

تَـحَـقُّـقُ الإيفاءِ، والمجازاة مرهونٌ بـالإنـفـاق في سبيل الله

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ جملةٌ شرطيّةٌ؛ لأنّ (ما) اسم شرط جازم في محلّ نصب مفعول به مقدَّم لـ(تنفقوا)، و(تنفقوا) فعل الشّرط و(يوفّ) جوابه[1]، وهما مجزومان، ومنَ المعلوم أنّ الجملةَ الشّرطيّةَ تفيدُ تحقّقَ وقوعِ جوابِ الشّرط لتحقّق فعله، فهي قويّةٌ في إثبات أثرِها، فتَحَقُّقُ الإيفاءِ، والمجازاة مرهونٌ بالإنفاق في سبيل اللّه؛ ذلك أنّ إعدادَ القوّةِ يستدعي إنفاقًا، وأنّ النّفوسَ شحيحةٌ بالمال، لذا تكفَّل اللّهُ للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه، والإثابة عليه[2].

سرُّ التّعبيرِ بالمضارع في السّياق:

دوامُ الإنـفـاقِ وإكـثـارُه، ربـاحٌ ومنافع جمّة

جاء التّعبيرُ بالفعليّة في ﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾ و﴿يُوَفَّ﴾ لإفادة التّجدّدِ الاستمراريِّ، وفيه إلماحٌ على إدامة الإنفاقِ، والحَثِّ على الإكثار منَ التّصدّق، والجزاء أداءٌ للحقِّ الكاملِ باستمرار، وإيفاءٌ له على الدّوام، فالمُجزي اللّهُ فأنّى يُظلَمون؟!

(1) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 3/163.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/57.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿شَيۡءٖ﴾:

جاءَت كلمةُ ﴿شَيۡءٖ﴾ المستغرقة في الإبهام والتّنكير في سياق الشّرط، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾؛ لإفادة التّعميم لتشملَ أيَّ شيءٍ مهما قلّ أو كثر.

أفـادَت (شيء) التّعـمـيـم، في السّياق الكريم

بلاغةُ المجازِ العقليّ والاستعارةِ في الآية:

أُسنِدَتِ التّوفيةُ إلى الإنفاق بطريق البناء للمجهول على سبيل المجازِ العقليِّ من إسناد الفعلِ لغير الفاعل، أو عن طريق المجازِ بالحذف؛ بمعنى: يوفِّ جزاءَ الإنفاق إليكم، حيث جُعِلَ الإنفاقُ كالقرض للّه، فحذفَ المشبّهَ به، وجَعلَ على الإنفاق جزاءً، فسَمّى جزاءَهُ توفيةً، وأُسنِدَ إلى المشبّه على طريقة الاستعارةِ المكنية[1]، وفي الاستعارة منَ التّوكيد للمعنى ما ليس في الحقيقة، فالاستعارةُ تتضمّنُ الحقيقةَ، وفيها مزيدُ بيانٍ وتقريرٍ لا تسدُّ مسدَّه الحقيقةُ.

الإنفاقُ في سبيل اللـه قـرضٌ له تـعـالى يـوفّـيـه بأحسن منه

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾:

الواو يمكن أن تكون عاطفةً، فتجمع بين التّوفيةِ، وعدمِ الظّلم. ويكونُ المعنى: يوَفَّى إليكم ما تنفقونه ولا تُظلمون أيضًا، ويمكن أن تكونَ واو الحال، والجملة الاسميّة منَ المبتدأ والخبر في محلّ النّصب على الحاليّة على معنى: ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾، والحال في ذلك: أنّكم لا تُظلمون.

العـطـفُ جمعٌ لـلـوفـاء ونَـفـيٍ الظّلم

توجيهُ توسّطِ النّفي في السّياق:

يُشعِرُ نظمُ الجملةِ بتوسّط النّفي بين المسند إليه المقدَّم والمسند الفعليّ، بتقوية الحكم، كما تقدّمَ مرارًا، وقد يفيدُ التّخصيصُ بالقرائن، ولا قرينةَ هنا على إرادة تخصيصهم دون غيرهم بنفي الظّلم عنهم، وإنّما المرادُ توكيدُ عنايةِ اللّه تعالى بهم، وأنّه لا يضيّعُ لهم شيئًا من أعمالهم.

تـوسّـطَ النّـفـيُ تـوكـيـدًا لـعـنـايـة الـلـه، وأنّـه لا يضيّعُ لهم شيئًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/58.

نكتةُ صوغِ الخبرِ جملةً فعليّةً:

لا ظـلـمَ مع تجدّدِ الإنفاق

مجيءُ الخبرِ ﴿تُظْلَمُونَ﴾ بالفعليّة للدّلالة على تجدّد نفي الظّلم عنهم، وديمومته، واستمراره، وأنّه لا تنقطعُ رحمةُ اللّه عنهم؛ توفيةً لدوام إنفاقِهم، واستمرار تصدّقِهم.

بلاغةُ إسنادِ الفاعلِ للمفعول:

واجبُهم التّفكّرُ بالنّعمة وأداءُ حقّها

أمّا إسنادُ الفعلِ للمفعول فلأنّ الفاعلَ معلومٌ مُقرَّرٌ في أذهانهم، وما عليهم سوى الانشغال بهذه النّعمة والتّفكّر فيها وأداء حقّها.

سرُّ حذفِ مفعول ﴿تُظْلَمُونَ﴾:

الحذفُ للتّعميم، وأثره في السّياق جليّ

حذفُ مفعولِ ﴿تُظْلَمُونَ﴾ للتّعميم كي يشملَ صغائرَ الأمور وكبائرَها، والمرادُ لا تُظلمون بترك الإثابةِ أو بنقص الثّوابِ.

بلاغةُ التّعبيرِ عن تركِ الثّوابِ بالظّلم:

بيانُ كمالِ نزاهتِه سبحانه وجَميلِ إثابتِه

عبّر عن ترك الإثابةِ، ونَقْصِ الثّوابِ بقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، والتّعبيرُ عن تركها بالظّلم مع أنّ الأعمالَ غيرُ موجبةٍ للثّواب حتّى يكونَ تركُ ترتيبِه عليها ظُلْماً لبيان كمالِ نزاهتِه سبحانه عن ذلكَ بتصويرِه بصورةِ ما يستحيلُ صدورُه عنهُ تعالى منَ القبائح وإبرازِ الإثابةِ في مَعرِض الأمورِ الواجبةِ عليه تعالى[1].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/32.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 16 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-12-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 16 : المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-12-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»